الفصل الثانى

كارثة ١٩٦٧ وفشل السوفييت فى إزالة آثارها

أخفق الساسة العرب فى أن يتعلموا من حربى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، وانعكس ذلك بالطبع على العسكريين العرب ، حيث أظهرت الدروس المستفادة من الحربين عدم تطابق مبادئ الحرب فى مجالات المحافظة على الغرض . ومبدأ الحشد وخفة الحركة . ومبدأ الأمن والاقتصاد فى القوة . . والأهم من ذلك كله أن العسكريين العرب لم يطبقوا مبدأ التعاون بين القوات العربية وبين بعضها بعضاً . فلم تكن هناك قيادة موحدة فضلاً عن عدم صفاء النية نحو الغرض المشترك . وفى عام ١٩٦٧ أيضاً كان هناك الافتقار إلى التعاون الذى ساد فى عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ وحتى « مظاهرات » الوحدة قد حدثت فى الدقائق الأخيرة وبنفس الافتقار إلى المبادرة والروح الهجومية الحقيقية .

لقد كانت جميع الخطط العربية للمعركة عام ١٩٦٧ ، هذا إذا افترضنا أنه كانت لدى أى جيش عربى قناعة حقيقية باحتمال اشتباكه بحرب مع إسرائيل ، كانت هذه الخطوط تقوم على أساس افتراض الاشتباك بحرب دفاعية ، ترتكز على إيقاع الإسرائيليين فى شرك من أجهزة دفاعية فى حين تبقى قواته المدرعة احتياطاً فى الخطوط الخلفية . وكانت التحصينات التى أقامها الجيش السورى – مثلاً – تعطى شعوراً بالأمن للقوات المرتكزة فى هذه التحصينات . وتفقد القوات السورية أية رغبة فى الخروج من هذه المواقع المريحة نسبياً للقيام بعمليات فى أمكنة مكشوفة ، وهكذا فإنه عندما دفع السوريون سرايا قليلة إلى إسرائيل لم يكن هجومهم ذا فاعلية تذكر . . وأيضاً لم يمضوا فيه إلى النهاية .

وحاقت بالعرب فى خلال الأيام الستة من حرب ١٩٦٧ كارثة يظهر ثقلها من أرقام الخسائر التى أسفرت عنها . لقد ترك العرب بين يدى الإسرائيليين مساحات واسعة من الأرض هى : الضفة الغربية لنهر الأردن ، ومدينة القدس القديمة . ومنطقة غزة . وشبه جزيرة سيناء . وشريط عريض من الأرض على طول الحدود السورية . وتمكنت إسرائيل بذلك من مضاعفة مساحة الأرض التى تشغلها أربع مرات فى خلال أسبوع واحد . وكانت الخسائر فى الأرواح (حوالى٣٠ ألفاً) فادحة إذا ما أخذ فى الاعتبار مقدار القوات التى استخدمت ، والمدة التى استغرقتها الحرب وهذه بياناتها : عشرة الاف من بين الخمسين ألف مقاتل يتكون منهم الفيلق العربى . وعشرون ألف قتيل على الجبهة المصرية لايدخل ضمنهم العدد الذى لاحصر له من الجنود الذين ماتوا عطشاً فى سيناء وهم يحاولون العودة إلى القناة بعد أن تفككت وحداتهم ، وفى مقابل هذه الأرقام المذهلة يندهش المرء لتواضع مقدار الخسائر التى لحقت

بالإسرائيليين فقد بلغ عدد قتلاهم ٦٧٦ – منهم أكثر من ٢٠٠ أثناء الهجوم على مدينة القدس عدا ٢٥٠٠ جريح[١] ،وكانت الحكومة الإسرائيلية قد قدرت أنه فى حالة وقوع حرب قد يصل عدد القتلى من المدنيين والعسكريين إلى أربعين ألف قتيل .

أما كميات المعدات التى حطمتها إسرائيل واستولت عليها فضخمة جداً وهذا بيانها : ٤٤١ طائرة ، وأكثر من ٧٠٠ دبابة ، منها ١٠٠ دبابة تم الاستيلاء عليها سليمة ، ٥٠٠ قطعة مدفعية وعشرة آلاف سيارة وغواصة واحدة . ووحدات بحرية أخرى . وقاعدة للصواريخ السوفييتية من النوع الذى يضرب من الأرض إلى الجو من طراز S.A.2 وجدت متروكة فى سيناء ، وقد قدر ثمن هذه المعدات فى مجموعها بعشرة مليارات من الفرنكات ، أما ثمن المعدات التى استولى عليها الإسرائيليون سليمة فيقدر بمليار من الفرنكات . وتبعاً للبيانات التى ذكرها المعهد البريطانى للدراسات الاستراتيجية . وهو من المعاهد ذات الاطلاع الدقيق بوجه عام – فقد بلغت الخسائر التى منى بها العرب الأرقام الآتية : ٤٣٠ طائرة ، ٨٠٠ دبابة منها خسائر مصر : ٣٤٠ طائرة ، ٦٠٠ دبابة ، ومنها خسائر الأردن ٢٠ طائرة ، ١٥٠ دبابة ، ومنها خسائر سوريا ٥٠ طائرة ، ٥٠ دبابة ، ومنها خسائر العراق : ٢٠ طائرة . أما الخسائر التى لحقت بإسرائيل فهى حسب تلك البيانات ٤٠ طائرة ، ١٠٠ دبابة .

على أن هذه الخسائر التى حاقت بالعرب فى المعدات العسكرية لم تكن تمثل

---

(١) تقدير عدد القتلى والجرحى من بين الإسرائيليين مستمدة من المصادر الإسرائيلية ولا ينتظر بالطبع أن تكون منصفة .

غير جزء يسير من الكارثة التى أصيب بها العرب وخاصة مصر . . نتيجة للحرب بطريقة مباشرة من جراء إغلاق قناة السويس . والنظرة الواقعية إلى الموقف تؤدى بصاحبها إلى الخروج بنتيجة واحدة واضحة ، وهى أن الجانب العربى لم يحسن القتال فى تلك الحرب . فلا أحد ينكر أن التنسيق كان ضعيفاً بين الدول العربية المشتركة فى الحرب – إن لم يكن هناك تنسيق فعلى – كما لم تكن هناك خطة عمل موحدة بالرغم من الخطوات التى اتخذت قبل الحرب مباشرة ، ويقترن بهذا حقيقة أن الإسرائيليين كانوا يخططون لتلك الحرب منذ وقت طويل . وقد سأل الإخوان تشرشل – راندولف وونستون – وهما يعدان كتابهما « حرب الأيام الستة » – أحد القادة الإسرائيليين عن سبب نجاحهم . فأجاب الجنرال هود ، وهو من أعضاء القيادة الإسرائيلية العليا آنئذ : « إن ستة عشر عاماً من التخبط قد انصبت كلها فى (الثمانين دقيقة) التى بدأت بالحرب – لقد كنا نعيش مع الخطة ، وننام معها ، ونأكل معها . لقد أتقناها » .

ويعلق الأخوان تشرشل بإعجاب عن ذلك قائلين : « إن إسرائيل مثلها فى ذلك مثل راعى البقر فى برارى الغرب القديمة ، لم تنتظر عدوها حتى يهاجمها – لقد لمحت البريق فى عينى عبد الناصر فهاجمته » .

وفى مقابل تخطيط إسرائيل للحرب كان الموقف العربى الآخر على النقيض ، وهذا يرجع إلى التأكد أن الدبلوماسية التى قدمها الاتحاد السوفيتى جعلت العرب يستكينون إلى الاعتقاد بأن الأزمة ستمر كغيرها من الأزمات التى شهدها تاريخ المواجهة العربية الإسرائيلية ، هكذا تفاءل العرب إزاء الوعود السوفيتية وثبت أن التفاؤل العربى كان تفاؤلاً مميتاً .

ولقد لاحظ ذلك الاتجاه مراسل إحدى الصحف الهندية حيث بعث من

القاهرة قبل الحرب بيوم واحد يقول : « إن القاهرة لا تريد الحرب ، ومن المؤكد أنها غير مستعدة لها » ويؤيد هذا التقييم الواقعى لاتجاهات العرب الاستراتيجية فى جبهة القتال أن معظم الأسلحة والعتاد العربى على الجبهة العربية كان بهدف الدفاع فقط . من الواضح أن أى إنسان يعد لحرب هجومية لايثبت أسلحة فى أماكن لا تبرحها . وهو ما يظهر أن العرب لم يخططوا لحرب ١٩٦٧ ضد إسرائيل .

وهكذا كان الإسرائيليون أذكى من العرب . ومن ناحية أخرى فإن الكارثة أوضحت بدرجة أكثر أهمية بطلان ماكان يقوله أنصار إسرائيل عن ميول العرب العدوانية ، كذلك يمكن الاستدلال على أن دعاوى إسرائيل من وراء إغلاق خليج العقبة والتصريحات شبه الحربية للقادة العرب ، واستعدادات الدفاع المشترك بين الدول العربية ، كل تلك الدعاوى لم يكن لها شأن بهجوم إسرائيل الذى جرى تخطيطه بعناية منذ شهور . إن لم يكن منذ سنين . وكل ما أسمته إسرائيل أعمالاً استفزازية من جانب العرب إنما وقع قبيل الحرب بأقل من أسبوعين .

أما الذين تحيزوا لإسرائيل من المراقبين والذين بحثوا فيما يسمى بنجاح إسرائيل فى الحرب فإنهم يتجاهلون أحداث التاريخ الحديث والمعاصر ، فألمانيا استطاعت أثناء الحرب العالمية الثانية . وبنفس طريق الحرب الخاطفة أن تستولى على ما يزيد على مساحة أراضيها بتسعين ضعفاً . كما استطاعت اليابان بالطريقة نفسها أن تستولى على ما يزيد على مساحة أراضيها بـ ١٥٠ ضعفاً ، ولكن الأيام التالية أظهرت أن ذلك النجاح العدوانى لم يستطع البقاء طويلاً وهو ما أثبتته بالفعل حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كذلك ينبغى ألا نتجاهل ان إسرائيل قد تلقت فى سبيل نجاحها عام ١٩٦٧ مساعدة نشطة من الولايات المتحدة الأمريكية ، فى حين اكتفى السوفيت بالتأييد الكلامى « لأصدقائهم » فى مصر وسوريا .

وبالرغم من ذلك فقد استبسل الجنود العرب . وكانت هناك بطولات خارقة من جانب عدد غير قليل من الضباط . . وضباط الصف والجنود فى جميع الأسلحة . . وضد تلك الظروف العسكرية . ولعل أوضح مثال على ذلك أيضاً أن أكثر من ١٥٠٠ جندى فلسطينى أسلموا أرواحهم دفاعاً عن القدس وحدها .

وقد ذكر الأخوان تشرشل فى كتابهما نقطة هامة أخرى حين قالا :

« وبطبيعة الحال كانت روسيا ومصر وإسرائيل يعلمون منذ البداية أن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدى إذا تعرضت إسرائيل للدمار » . وبهذا أمكن لإسرائيل أن تمضى قدماً فى تنفيذ خططها ، إذ كانت تعلم أنه مهما يحدث فإن واشنطن ستحميها دائماً .

ونصل الآن إلى جانب من جوانب كارثة ١٩٦٧ قد يكون أكثر الجوانب خلافاً وإثارة للجدل . إنه الجانب الخاص بمدى التأييد الغربى لإسرائيل فى تلك الكارثة التى حاقت بالجانب العربى ، ولقد قيل وكتب الكثير فى هذا الموضوع . ومن الثابت أن لهذا الموضوع وجهين : أحدهما يختص بالتواطؤ الحقيقى على العدوان ، والآخر يتعلق بالمساعدة التى نالتها إسرائيل بالوسائل السياسية والدبلوماسية . وكلا الوجهين متساويان فى الأهمية تقريباً من حروب هذا العصر .

وفيما يختص بالتواطؤ العسكرى الفعلى فإن اتهامات كثيرة قد وجهت ،

ولكنها فندت . . ومن المعروف لدى المؤرخين فى مثل تلك الأمور أنه يكاد يكون مستحيلاً إثبات أى شيء إلا بواسطة شاهد قوى شارك فى تلك الأحداث ، ومن هؤلاء الشهود الرئيس أنور السادات الذى أكد فى مذكراته من أن عدوان ١٩٦٧ كان مدبراً ضد مصر وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٦٥ ، حيث بدأت إسرائيل الإعداد لحرب ١٩٦٧ بالاتفاق مع جونسون الذى كان مستسلماً تماماً للمراكز الصهيونية .

وعندما نشرت بعض الكتب لمؤلفين مثل موشى ديان وأنتونى ناتنج تشير جميع الشواهد إلى أن إسرائيل لم تكن تجرؤ على المبادرة بالهجوم ، ولم تكن تستطيع تحقيق ذلك النجاح الذى حققته ، لو لم تحصل على مساعدة نشيطة من أصدقائها الغربيين وعلى الأخص أمريكا . فى الوقت الذى تقاعس فيه السوفييت تماماً عن مساعدة أصدقائهم العرب فى مصر وسوريا ، اللهم إلا الطلب السوفييتى بوقف إطلاق النار فى الحال – والذى لم يتم بالطبع – يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ .

وفى أيام نشوة السعادة التى أعقبت الانتصارات العسكرية الأولى دعا الزعماء الإسرائيليون إلى عقد مفاوضات مباشرة مع الدول العربية دون المبادرة فى البداية إلى تحديد مطالبهم القصوى بالنسبة للاستيلاء على الأراضى أو التنازلات السياسية ، وتوقع الإسرائيليون قبولاً من جانب العرب على التفوق الإسرائيلى على حين جاءت حقيقة الواقع لتبين أن النصر الإسرائيلى كشف عن مواطن الضعف لدى الحكومات العربية ، وأدى بالتالى إلى تشجيع حركة المقاومة الفلسطينية التى كانت قد شهدت فى الفترة السابقة على الحرب عدة صراعات داخلية ، وهو مايقتضى منا وقفة للتفسير والتعليل : فمن الثابت أنه

كان هناك صراع المنظمات الفلسطينية المتطرفة مع بعض الدول العربية الراديكالية إلى جانب الدول المحافظة ، ثم الخلاف بين المقاومة نفسها بعد أن تعرضت منذ عام مضى لأزمة القيادة . وتشير إحدى الدراسات إلى أن أسلوب الشقيرى كان أوتوقراطياً ، وقد طلبت مكاتب المقاومة الفلسطينية فى بيروت ودمشق أن يكون لها نصيب فى السلطة . وكان منافساً الشقيرى هما شفيق الحوت (مدير مكتب بيروت) ، واللواء وجيه المدنى « رئيس أركان حرب الجيش الفلسطينى » .

وقد أدت الأزمة إلى قيام الشقيرى بحل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتشكيل « مجلس الثورة » الذى سيقوم بالإعداد « لمعركة التحرير » وزادت حدة المعارضة للشقيرى ، وابتداء من منتصف فبراير ١٩٦٧ بدأت القواعد تطالب بقيادة جماعية ، ومن ثم تراجع الشقيرى وأعلن عن تشكيل لجنة تنفيذية جديدة ، لكن الانقسام استمر بين صفوف القيادات الفلسطينية مما اضطر الشقيرى إلى إصدار قرار عشية حرب ١٩٦٧ بنقل شفيق الحوت إلى مكتب نيودلهى ، لكن الحوت رفض وانتقد القرار علانية . مؤكداً أنه يرجع إلى رغبة الشقيرى فى إبعاد كل العناصر التى تطالب بالقيادة الجماعية ، واستمرت هذه الأزمة بين القيادات الفلسطينية ، وسادت بينها الصراعات حتى استقال الشقيرى فى ديسمبر ١٩٦٧ ، ثم اقترنت الكارثة التى حلت بالعرب وبالشعب الفلسطينى بهجرة جديدة للسكان . فقد فر حوالى مائتى ألف من الفلسطينيين من الضفة الغربية وعبروا نهر الأردن إلى ضفته الشرقية ، كما غادر عشرات الآلاف من السوريين المنطقة التى احتلتها إسرائيل .

وفى تقرير قدمه أوثانت للأمم المتحدة قدر عدد الذين نزحوا بسبب الحرب (٣٢٣٠٠ نسمة) منهم ١١٥٠٠٠ كانوا من قبل العمليات الحربية فى وضع

اللاجئين فعلاً ، وهذه الأرقام تتفق تقريباً مع الأرقام المستقاة من مصادر أخرى ، والتى تقدر عدد الأشخاص الذين غادروا الضفة الغربية لنهر الأردن بما يقرب من ٢٦٠,٠٠٠ نسمة منهم ٢٠٠,٠٠٠ نزحوا فى الفترة من ٥ يونيو و٤ يوليه ، و ٦٠,٠٠٠ نزحوا من مواطنهم بعد تاريخ ٤ يوليو ١٩٦٧ ، ومن هذا العدد ١٠٠,٠٠٠ كانوا من قبل فى وضع اللاجئين .

أما من الأراضى السورية المحتلة فيقدر عدد الأشخاص الذين غادروها بما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٥,٠٠٠ نسمة كانوا من قبل لاجئين .

ويتساءل أحد الباحثين عن مغزى هذه الأعداد الضخمة من النازحين ، وكيف نسى العرب المآسى التى يعيش فيها لاجئو عام ١٩٤٨ الذين كابدوا الويلات فى المخيمات ، ولماذا لم تمنع حكومة الأردن وحكومة سوريا هذه الهجرة الكثيفة ، خاصة أن الأردن فقد فقدت بفعل الهزيمة نصف ما كان لديها من أرض زراعية فضلاً عن عجزها عن إطعام هذا السيل الجارف من المهاجرين ، وعموماً فإن الإجابة على التساؤلات السابقة تفيد أن الضرر الذى لحق بالعرب لايقتصر على ماسبق ، ولكن العرب فوق هذا قد ضحوا عامدين بواحدة من الوسائل التى تنفعهم . تلك هى ميزة التفوق فى العدد التى لدى السكان العرب فى المناطق المحتلة ، وهى ميزة كان من شأنها أن تصد أية أفكار إسرائيلية لضم تلك المناطق إلى أراضيها .

وعموماً يمكن القول إن عام ١٩٦٧ كان نقطة تحول حاسمة فى تاريخ المواجهة العربية الإسرائيلية ، حيث عجل الانتصار الضخم الذى حصلت عليه إسرائيل بحدوث مجموعة من التفاعلات لم يكن باستطاعة أى من المراقبين التنبؤ بها غداة الحرب ذاتها . فسرعان ما اتضح أن الحرب قد خلقت من المشاكل فى

المجتمع الإسرائيلي وخارجه أكثر مما حلت .

لقد جاءت الحرب والانتصار الإسرائيلي بكثير من التناقضات فوق التناقضات المتراكمة فى المجتمع الإسرائيلي ، فضلاً عن مظاهر جديدة فى تفككه ، وملامح هلامية لتطوره السياسى الذى سوف يشهد بعد سنوات قليلة – بحرب ١٩٧٣ – مزيداً من التفكك على المجتمع الإسرائيلي كله ، الذى لم يكن قط معداً لتلقى الصدمة : ولم يعبأ نفسيًّا كما عبئ فى حروب ١٩٤٨و١٩٥٦ و١٩٦٧ ، حيث كانت هذه الأخيرة – أى حرب ١٩٦٧ – مقدمة لتطورات سوف تحدث تكريساً لمزيد من التناقضات ومظاهر التفكك الاجتماعى ، مثل ارتفاع نسبة جنوح الشباب فى الطبقات الدنيا من المجتمع الإسرائيلي والهجرة المضادة – أى من إسرائيل إلى الخارج – وخاصة تلك التى ضمت بعض الكفاءات العلمية والتكنولوجية ، ثم موجات الإضرابات التى عمت مختلف قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي ، والتمرد على الخدمة العسكرية ، وهو ما دعا الكاتب الإسرائيلي الذائع الصيت أورى أفنيرى . يبادر إلى القول :

« إن المؤسسة التى كانت بالغة القوة من قبل قد فقدت الصلة الحقيقية بالناس ، وخاصة بالجيل الشاب ، فإن عجزها عن حل المشاكل الحقيقية للبلاد وخاصة المشكلة العربية قد أصبح واضحاً حالياً ، وبذا فإن تدهور الصهيونية يجعل المؤسسة الحاكمة فى طريق الانزواء » .

كذلك فقد نجح الإسرائيليون فيما فشل فيه العرب ، فالمنطق الدعائى الإسرائيلي استقطب مزيداً من تأييد الرأى العام الغربى عشية حرب ١٩٦٧ – وبعدها أيضاً – بأن العرب تساندهم قوة دولية كبرى هى الاتحاد السوفيتى ، وملأت الدعاية الإسرائيلية العالم ضجيجاً بالمساعدات السوفيتية للعرب وللشعب

الفلسطيني ، وهو ما أثبتت التطورات اللاحقة بعده الشديد عن الواقع .

وقد اجتمع مجلس الأمن فى صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ فى جلسة عاجلة طارئة بناء على دعوة من مندوب مصر ، قال فيها : إن إسرائيل قد ارتكبت عدواناً غادراً ومدبراً على مصر ، وهاجمت قطاع غزة وسيناء ومطارات القاهرة .

وتحدث الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت ، ثم مندوب الهند ، اللذان أدانا العدوان الإسرائيلى وبرزت عدة اتجاهات خلال المشاورات التى كانت قد تمت خارج المجلس للوصول إلى مشروع قرار بخصوص الوضع فى الشرق الأوسط .

وكان هناك اتجاه يرى أن على مجلس الأمن أن يصدر نداءً عاجلاً إلى الجانبين المتحاربين لإعلان وقف إطلاق النار فوراً . وترك جميع القضايا الأخرى للبحث فى وقت لاحق . وتزعمت هذا الاتجاه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا . وكان هناك اتجاه آخر يرى أن على المجلس أن يطالب بشجب العدوان الإسرائيلى ، وأن يتضمن أى مشروع قرار لوقف النار طلباً بانسحاب الجانبين إلى المواقع التى كانا يحتلانها قبل اندلاع القتال . وقد تزعم الاتحاد السوفييتى هذا الاتجاه . وشن المندوب السوفيتى حملة عنيفة على إسرائيل متهماً إياها بارتكاب العدوان ، وبأنها تتحدى الأمم المتحدة وميثاقها .

وفى اجتماعه الحادى عشر خلال يونيو تلقى مجلس الأمن مشروع قرار سوفييتى ، طلب فيه السوفييت أن يشجب مجلس الأمن العدوان الإسرائيلى ، واحتلال إسرائيل المستمر لقسم من أراضى مصر والأردن وسوريا ، كما طلب مشروع القرار من مجلس الأمن أن يطلب سحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة . وقد طلب المندوب السوفيتى أن يتم التصويت فوراً على مشروع القرار .

غير أن عملية التصويت أسفرت عن فشل المشروع .

وفى ١٣ يونيو ١٩٦٧ طلب الاتحاد السوفييتى عقد دورة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، لتنظر فى العدوان الإسرائيلى على الدول العربية . وتصفية نتائج العدوان بعد أن تبين للاتحاد السوفييتى أن مجلس الأمن لن يخرج عن نطاق العمل ضمن إطار وقف إطلاق النار ، وأنه يتخذ قرار لسحب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها بعد الخامس من يونيو كما كان مفروضاً فيه أن يفعل ، مما خلق سابقة خطيرة فى العلاقات الدولية ، ألا وهى تمكين المعتدى من الاحتفاظ بأراض احتلها بقوة السلاح . وقد عقدت الجمعية العامة دورة طارئة للنظر فى العدوان الإسرائيلى على الدول العربية بناء على دعوة وجهها أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفييتى .

وقد جاء فى دعوة الاتحاد السوفييتى أنه بالنظر لتحدى إسرائيل لقرارات مجلس الأمن لوقف إطلاق النار فإن إسرائيل استولت على المزيد من الأراضى التى تخص مصر والأردن وسوريا ، وجاء فى الدعوة أيضاً أنه فى رأى الاتحاد السوفييتى يجب عقد دورة للجمعية العامة للنظر فى الوضع الذى نشأ فى الشرق الأوسط ، وأن تتخذ الجمعية العامة قراراً يهدف إلى تصفية نتائج العدوان ، وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة .

واشترك تسعة وستون وفداً فى اجتماعات ومناقشات الدورة الطارئة للجمعية العامة . ونظرت الجمعية فى سبعة مشاريع قرارات ومن خلال مشاريع القرارات هذه وكيفية التصويت عليها يتبين للمرء الاتجاهات التى سادت مناقشات الجمعية العامة ، وكانت المشكلة الرئيسية التى تواجه الجمعية هى : هل تتخذ الجمعية العامة قراراً بسحب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى

احتلتها إلى المواقع التى كانت فيها قبل الخامس من يونيو دون قيد أو شرط ، أو تتخذ قراراً بحل المشاكل الإسرائيلية العربية ، ومن بينها مشكلة سحب القوات . وعموماً فقد فشلت الجمعية العامة فى اتخاذ قرار يدعو القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب .

وهكذا فشل السوفييت فى مجلس الأمن أو فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أن يحرزوا أى تقدم تجاه انسحاب إسرائيل ، ويذكرنا هذا بفشل السوفييت فى علاج القضية الفلسطينية عموماً . فمنذ عام ١٩٤٧ والسوفييت لا يسهمون إيجابياً فى إيجاد الحل ، بل إن الملاحظ أنهم ابتعدوا دائماً عن كل المحاولات التى بذلت من أجل إحلال السلام بين العرب وإسرائيل ، وقد انعكس ذلك على ابتعادهم عن كل اللجان والهيئات التى تخفف العبء عن الشعب الفلسطينى طوال فترة تشرده ، ومنها وكالة غوث اللاجئين التى لم يسهم السوفييت فيها بأى نصيب .

أما بين الدول العربية وإسرائيل فلم يشارك السوفييت فى لجان الهدنة عام ١٩٤٩ ، ولا فى لجنة التوفيق الدولية التى تكونت لكى تعمل على تنمية العلاقات الحسنة بين إسرائيل والعرب . وواضح أن السوفييت يسعون بالطبع إلى تحقيق مصالحهم التى تتنافى وحقوق الشعب الفلسطينى والأمة العربية .

وعموماً فقد فشل الاتحاد السوفييتى كدولة عظمى فى أن يحتل مكانته ، والمفروض أنها من حقه الطبيعى فى إزالة آثار العدوان الإسرائيلى على الدول العربية عام ١٩٦٧ ، فبعد أن كان يصر بأسلوب التسخين السياسى على انسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ما قبل الخامس من يونيو نجد أنه تراجع فى المرحلة اللاحقة من المناقشات ، ووضع السوفييت أيديهم تماماً فى إناء من

الماء البارد ، وتركوا العرب وحدهم يغرقون فى الماء المغلى ، ويعانون من ذل الهزيمة .

ولعل من المستحسن أن تترك الوثائق هى التى تتحدث عن ذلك . فقد تكلم ألكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى قائلاً : إن مجرد تحقيق وقف إطلاق النار يشكل نجاحاً مؤكداً للقوى المحبة للسلام ، وفخراً كبيراً لمجلس الأمن الدولى حتى وإن أخفق فى القيام بالتزاماته كاملة بموجب الميثاق . وأضاف : إن النظر إلى قضية الشرق الأوسط يجب أن يكون ضمن إطار الوضع العالمى وليس كصدام محلى فقط .

ويقودنا الموقف السوفييتى بالتالى إلى إعطاء فكرة عن اتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه الفترة كما أوضحها الرئيس الأمريكى الأسبق جونسون فى مؤتمر السياسة الخارجية فى واشنطن فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ قوله : « إن لإسرائيل حقاً أساسياً فى الحياة ولكن يجب فى الوقت نفسه ألا تسمح إسرائيل لنجاحها العسكرى بأن يعميها عن أن لجيرانها حقوقاً ومصالح وأضاف بأن الخطوة الأولى التى يجب اتخاذها لتخفيف أزمة الشرق الأوسط هى وضع حد لسباق التسلح فى المنطقة ، وبعد أن أيد الرئيس الأمريكى جونسون حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وحق إسرائيل فى المرور بحرية فى المياه الدولية قال : « إن العودة إلى الوضع الذى كان سائداً قبل الخامس من يونيو لا يشكل علاجاً للسلام . إنما يشكل دافعاً جديداً لتجدد القتال » .

وعموماً فإن النشاطات الطنانة التى انفجرت فى دهاليز الأمم المتحدة كانت نتيجتها كالآتى عند التصويت على مشاريع القرارات المقدمة من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة :

(ا) بالنسبة لمشروع قرار الاتحاد السوفيتى فقد طرح رئيس الجمعية العامة المشروع على التصويت فقرة فقرة ولكنها سقطت جميعها لأنها لم تنل أكثرية الثلثين المطلوبة ، وهكذا اعتبر أن مشروع قرار الاتحاد السوفيتى قد فشل بأكمله .

(ب) بالنسبة لمشروع قرار الولايات المتحدة الأمريكية فقد رأى الوفد الأمريكى عند فشل المشروع السوفيتى ألا يطلب التصويت على مشروع قراره ، وهكذا اعتبر أن المشروع قد سحب والنتيجة أن إسرائيل حققت لنفسها نصراً دبلوماسياً هاماً حيث – من ناحية – استطاعت إبعاد المشاريع التى كانت تخشى اعتمادها ومن ناحية أخرى فإن أى مشروع كان لها فيه مصلحة قد نال عدداً أكبر من الأصوات .

وإن المرء ليعجب حقاً من مقارنة ذلك الموقف بما حدث من أمر مختلف تماماً على أثر العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، حينما طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ٧٤ صوتاً ضد صوتين فقط بانسحاب القوات الإسرائيلية فوراً وبغير قيد أو شرط إلى ما وراء الحدود .

وعقب هذا الفشل الذى منيت به الأمم المتحدة فقد قررت أن تمنح نفسها مهلة للتفكير ، عادت إلى الانعقاد يوم ١٢ من يوليو ١٩٦٧ بعد الحوادث المتكررة التى وقعت على طول جبهة قناة السويس ، والتى كانت نتائجها دائماً فى غير صالح مصر والعرب . أما الموقف السوفيتى فقد طرأ التغيير عليه هو الآخر ، فعشية العدوان وخلاله كان موقفه ساخناً للغاية ، وعقب العدوان مر بمرحلة الاعتدال وهو ما يبدو واضحاً من حديث ألكسى كوسيجين فى مجلس الأمن ، وصل فى النهاية إلى حد التراجع عن موقفه ، حيث اتصل ممثلوه بممثلى الولايات المتحدة ، وأعد الجانبان معاً مشروع قرار يطالب بانسحاب القوات الإسرائيلية

إلى القواعد التى انطلقت منها مع نزول العرب فى الوقت نفسه عن حالة الحرب . على أن هذا التعاون بين السوفييت والأمريكيين . والتى لم تشهد المنظمة الدولية أمثلة كثيرة له من قبل ، لم يؤد لسوء الحظ إلى النتيجة المرجوة منه ، إذ أدت المعارضة الصاخبة وغير الموضوعية من القادة العرب آنئذ كما أدت المعارضة الهادئة – رغم قوة تأثيرها – من جانب إسرائيل إلى التخلى عن المشروع المشترك .

وفى الفترة التالية سادت إسرائيل نشوة الانتصار الخاطف الذى أسفر عن اختطافها لمساحات واسعة من الأراضى العربية ، وسادت فيها الأمزجة التوسعية والموجات الشوفينية ، وانعكس ذلك على بيانات قادتها المتضمنة عدم تفكير إسرائيل فى قبول أى من قرارات الأمم المتحدة . وقد بلغ الصلف الإسرائيلى قمته تجاه جهود الأمم المتحدة للمحافظة على مظهر القانون فى المجتمع الدولى .

هذا الصلف الإسرائيلى تمثل فى قول أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل آنئذ – إنه حتى لو قرر ١٢١ عضواً من الأعضاء الـ ١٢٢ فى الأمم المتحدة أن تخلى إسرائيل القدس فإننا لن نفعل ، كما أكدت البيانات التالية لقادة إسرائيل أن إسرائيل لاتريد الاحتفاظ بالقدس فقط بل بجميع المناطق التى احتلتها أثناء حرب يونيو ، وبمعنى آخر فقد أصبح واضحاً أن إسرائيل لن ترضى بأقل من « رطلها من اللحم » – نعنى بذلك الإشارة إلى حكاية رطل اللحم فى رواية تاجر البندقية لشكسبير – المتمثل فى جميع المناطق التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧ ومزيداً من الحقوق فى قناة السويس وخليج العقبة مع نبذ الدول العربية لمطالب الشعب الفلسطينى الشقيق .

وحتى أصدقاء إسرائيل أنفسهم قد صدموا بعجرفتها ، وهو ما اضطر – على

سبيل المثال – المعلق الأمريكى المشهور جوزيف السوب إلى إعادة النظر فى سياسة الرعاية التى دأبت عليها الحكومة الأمريكية إزاء إسرائيل ، ولقد كتب « السوب » فى صحيفة « هيرالد تريبون » يقول : إن إسرائيل بانتقالها من موقف عدم المطالبة بأى أرض جديدة إلى موقف المطالبة بالقدس ، ثم المطالبة بتعديل ضئيل فى الحدود الأردنية ، ثم المطالبة بحدود آمنة مع الأردن ، إسرائيل بهذا تكون قد ذهبت بعيداً جداً وسريعاً جداً .

واستمر « السوب » يقول : إن مجرد اتفاق رسمى مع العرب على عدم العدوان والحصول على ضمانات بخصوص مسائل كالملاحة فى مضايق تيران وقناة السويس – لم يعد يرضى الإسرائيليين . . إن زعماء إسرائيل لا يستسيغون التفكير فى مشكلة احتواء إمبراطوريتهم الجديدة على مليون آخر من العرب ، بالإضافة إلى الثلاثمائة ألف الذين لديهم والذين يستطيعون طردهم .

وعلى الصعيد العربى فقد منى العرب بأخطر هزيمة حاقت بهم فى عام ١٩٦٧ ، وهى هزيمة أخطر بكثير مما حاق بالعرب عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ حيث افتقد المواطن العربى الشعور الذاتى والقومى بعدم الأمن ، وأنه قد غدا مهدداً بنفس المصير الذى لقيه المواطن العربى الفلسطينى منذ نزل به الاحتلال الإسرائيلى عام ١٩٤٨ ، وتلازم مع هذا الشعور القومى نوع من الإحساس بعقدة الذنب تجاه قصوره فى الماضى عن مشاركة الشعب الفلسطينى . . ففلسطين كانت نقطة للبداية فحسب ثم جاء دور بقية الدول العربية ليلتهمها مخطط التوسع الإسرائيلى لقمة بعد لقمة وشبراً بعد شبر .

وبات واضحاً على الصعيد العربى أنه لابد من جولة تالية وساعدت على ذلك أيضاً رؤية سياسية نافذة لحدود المواجهة دولياً وقومياً . وكان هذا بمثابة

مقدمة طبيعية وضرورية لحرب السادس من أكتوبر.

وكان واضحاً أيضاً أن الجولة الجديدة ستكون لها أبعاد جديدة تماماً ، وهى أن العرب لا يحاربون حرباً مشروعة – بمعيار خلع الاحتلال عن أرض الوطن فحسب – إنما العرب يحاربون فى نفس الوقت دفاعاً وتنفيذاً لمقررات تحظى بموافقة الرأى العام العالمى والشرعية الدولية ، كذلك فلقد كان واضحاً أن الولايات المتحدة تعانى مآزق خارجية وداخلية تاريخية « فشل مغامراتها العدوانية ضد شعب فيتنام – استمرار حرب التحرير فى كمبوديا – نمو التمرد الأوربى والغربى واليابانى على القيادة الأمريكية ، مع اتساع متزايد لفجوة الصراعات الاقتصادية فيما بينها – أزمات الطاقة والدولار والبطالة – الفضائح السياسية والاجتماعية التى حاصرت آنئذ جهاز الحكم الأمريكى ومؤسساته » الأمر الذى جعل الكثيرين يتنبئون بأن الولايات المتحدة لن تكون فى الوضع المريح الذى يتيح لها مرونة الحركة – وذلك بالقياس إلى وضعها فى حروب ١٩٤٨ . ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

كذلك بات واضحاً أيضاً أن العلاقات السوفيتية الأمريكية وما سادها من وفاق فى هذه الفترة – هذه العلاقات ستكون بمثابة محك اختبار تماماً مثلما كانت قبلها حرب شبه القارة الهندية والحركة المعقدة بين العملاقين من أجل المحافظة على جو الوفاق . وهو ما جعل مصر تشعر ببرود سياسى تجاه السوفييت ، انعكس على خروجهم من تشكيلات القوات المسلحة المصرية عام ١٩٧٢ ، وترحيل عائلات الخبراء حيث وضح لصانعى القرار السياسى فى مصر أن السوفيت لايودون التوسط فى مشكلة الشرق الأوسط .

هذه العوامل كلها لم تكن واضحة أمام إسرائيل ، حيث تصرفت القيادة

المصرية ممثلة فى الرئيس السادات تجاه إسرائيل مع مواقع ديناميكية ولم تعطها خطاً سياسياً واحداً ، وهو ما ساعد على « برجلة » القيادة السياسية الإسرائيلية التى استمرت فى نزعتها العدوانية ، وما تسبب عن ذلك من كشفها أمام الرأى العام العالمى . وهنا تجدر الإشارة بصفة خاصة إلى وقوع التغيير الملحوظ فى موقف فرنسا ومن ثم إلى حدوث انشقاق كبير فى السياسة الغربية تجاه الشرق الأوسط ، وهى السياسة التى كانت قبل ذلك الحين سياسة موحدة على أية حال .

ويجب التنويه هنا بمجهود الرئيس الفرنسى شارل ديجول فى عام ١٩٦٦ فقد حذر إسرائيل مراراً من محاولة الحصول على مكاسب نتيجة للعدوان قائلاً : « بالنسبة للحكومة الفرنسية فإنه واضح جداً أن الأمر الواقع لا يمكن أن يعتبر نهائياً سواء فيما يختص بالحدود أو بأوضاع المواطنين .

وهكذا طوى عام ١٩٦٧ أحداثه بمزيد من النزعات التوسعية داخل إسرائيل ، وفشلت الأمم المتحدة وخابت مساعيها تماماً فى إقناع إسرائيل بقبول أقل قدر ممكن من القواعد التى تحكم سلوك أعضاء المجتمع الدولى ، وكان ذلك دليلاً على عجز فى الأمم المتحدة قلما شوهد له مثيل من قبل .

أما السوفييت فلم يتبوءوا المكانة التى هى من حقهم ، وسمحوا لأنفسهم بالابتعاد عن حلبة الصراع ، وتركوا العرب وحدهم فى قاع المستنقع ، بعكس الأمريكيين الذين ظلوا يدعمون إسرائيل بقوة .